

أصلها ثابت

ثمانون سؤالاً تكشف الفرق بين الإسلام وأديان العالم

فهد عبد الله



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

ثمانية مليارات إنسان على هذه الأرض... وكل واحد منهم يحمل في داخله السؤال نفسه: من خلقتني؟ ولماذا أنا هنا؟ وإلى أين أمضي؟ وأمام هذه الأسئلة تقف الأديان، وكل دين يقول لأتباعه: هنا الطريق.

لكن هل سألت نفسك يوماً: ماذا تقول هذه الأديان حقاً؟ لا كما يصورها الإعلام، ولا كما يتخيلها الناس، بل كما تقرّها كتبها المقدسة ومصادرها المعتمدة.

في هذه السلسلة نفتح كتب إحدى عشرة ديانة هي الأكثر انتشاراً وتأثيراً في العالم: من الهندوسية والبوذية في الشرق، إلى اليهودية والنصرانية، وصولاً إلى الإسلام. ثم نطرح عليها الأسئلة التي تهّمك أنت: عن الإله، والموت، والآخرة، والمرأة، والأسرة، والأخلاق. ونقارن بإنصاف، فننقل كل دين من مصادره، دون تجريح لأحد ولا انتقاص من أحد. ونترك لك أنت أن تحكم بعقلك وفطرتك. فالحق لا يخاف المقارنة، بل يزداد وضوحاً كلما وُضع إلى جوار غيره.

﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾.

فتعال معنا في هذه الرحلة... لنبحث معاً عن الجواب: أين الطريق؟

١ . ما الغاية التي من أجلها جئت إلى هذه الدنيا؟

تستيقظ كل يوم، تعمل وتتعب وتفرح وتحزن... ثم ماذا؟ هل لهذا كله معنى؟

حين نطرح هذا السؤال على الأديان نجد ثلاثة مواقف:
أديان لا جواب عندها؛ لأنها لا تؤمن بخالق أصلاً كالبودية
والجينية، أو لم تتحدث عن الخلق كالتاوية والشتوية
والكونفوشيوسية.

وأديان أجابت جواباً لا يليق بعظمة الخالق، كرواية هندوسية تقول
إن الإله «براهما» كان وحيداً غير سعيد بوحدته، فخلق الإنسان ليؤنسه.
والإسلام الذي أجاب بوضوح: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا
ليعبدون﴾.

والعبادة هنا ليست صلاة وصياماً فقط، بل حياة كاملة يحبها الله:
صدقك عبادة، وبرك بوالديك عبادة، وعملك المتقن عبادة.
والحياة كلها اختبار قصير: ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم
أيكم أحسن عملاً﴾، والنتيجة تُعلن في يوم لا ظلم فيه.
فأنت لم تأت صدفة، ولن تمضي عبثاً: ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم
عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون﴾.

٢. ماذا ينتظرك بعد أن تغمض عينيك للمرة الأخيرة؟

كل إنسان سيقف أمام هذه اللحظة. فماذا تقول الأديان عما بعدها؟ تقول الهندوسية: ستعود إلى الدنيا في جسد آخر؛ إنسانًا أفضل إن أحسنت، أو حيوانًا أو حشرة إن أسأت، وتدور في هذه الحلقة حتى تتحد روحك بالإله.

وتقول البوذية: ستولد من جديد في واحد من ستة عوالم، بحسب أعمالك.

ويقول كونفوشيوس حين سُئل عن الموت: «لم نعلم الحياة فكيف نعلم الممات؟».

ولا تعرف الشنتوية حسابًا ولا جنة ولا نارًا.

أما الإسلام فيرسم لك الطريق كاملاً: قبرٌ هو أول منازل الآخرة، ثم بعث تُعاد فيه الأجساد: ﴿قُلْ يَحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، ثم موقف يكلمك فيه ربك «ليس بينه وبينه ترجمان»، ثم ميزان لا يضيع فيه مثقال حبة، ثم جنة أو نار.

طريق واضح المعالم، يجعلك تعرف إلى أين تمضي... ويدفعك أن تستعد له من الآن.

٣. لو سألنا المسيح نفسه: من أنت؟ بماذا يجب؟

لن نسأل الكنائس ولا المجامع، بل سنفتح الأناجيل ونقرأ كلام المسيح عن نفسه:

يقول: «أبي أعظم مني» (يوحنا ١٤: ٢٨).

ويقول: «أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً» (يوحنا ٥: ٣٠).

ويقول: «تعليمي ليس لي بل للذي أرسلني» (يوحنا ٧: ١٦).

ويقول عن يوم القيامة: «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد... ولا الابن إلا الآب» (مرقس ١٣: ٣٢).

ويقول لمريم المجدلية: «إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم» (يوحنا ٢٠: ١٧).

ويقول في دعائه: «أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته» (يوحنا ١٧: ٣).

ونراه يصلي ويسجد على وجهه ويدعوه ربه.

رجل يُرسل، ويتعلم، ويجهل الساعة، ويصلي، ويقول «إلهي».

هذه صورة نبي كريم، وهي الصورة نفسها التي يقدمها القرآن: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾.

٤. أي كتاب سماوي تستطيع أن تثق أنه وصلك دون تغيير؟

لو وصلتكَ رسالة مهمة من شخص عزيز، فأول ما تسأل عنه: هل هي رسالته حقًا؟ ومن نقلها؟ فكيف برسالة من الله؟ كتاب الزرادشتية أُحرق ثم ضاع، ولم يبق منه إلا خمسة أسفار، وأقدم مخطوطة له بعد نشأة الديانة بنحو ألفي عام. وكتب البوذية بقيت تُروى شفهيًا قرونًا، ولا مخطوطة كاملة لها قبل القرن الرابع عشر.

والأنجيل الأربعة تقرّ مراجع مسيحية أكاديمية بأن كاتبها مجهولون أو مشكوك في نسبتها إليهم. أما القرآن فقصته مختلفة: كُتب في حياة النبي ﷺ، وحفظه الآلاف في صدورهم، وُجمع في مصحف واحد في عهد الصحابة، وما زال يُتلى بلغته نفسها، ويحفظه اليوم ملايين المسلمين عن ظهر قلب في كل قارات الأرض. والسر في ذلك وعد إلهي: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾.

٥. هل يليق بالإله أن يندم أو ينسى أو يحتاج إلى راحة؟

الإله الذي تعبده يجب أن يكون كاملاً، وإلا فلماذا تعبده؟
لكن في بعض نصوص العهد القديم صورة أخرى:
«فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه» (تكوين ٦: ٦)، والندم لا يكون إلا ممن فاته علم العواقب.
ويضع قوسه في السحاب ليتذكر عهده: «أبصرها لأذكر ميثاقاً أبدياً» (تكوين ٩: ١٦).

وبعد خلق العالم «استراح في اليوم السابع» (تكوين ٢: ٢).
والعجيب أن العهد القديم نفسه يقول في مواضع أخرى: «ليس الله
بإنسان فيكذب ولا كبنى البشر فيندم»، و«الله لا يتعب ولا يكل».
وجاء القرآن ليحسم الأمر:
عن التعب: ﴿ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة
أيام وما مسنا من لغوب﴾.

وعن النسيان: ﴿لا يضل ربي ولا ينسى﴾.
وعن كل نقص: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾.
فالله في الإسلام كامل كمالاً مطلقاً، ولهذا يستحق وحده أن يُعبد.

٦. هل يتحمل الطفل الرضيع ذنب جده الأول؟

تخيّل طفلاً وُلد للتو، لم يفعل شيئاً بعد. هل هو مذنب؟
العقيدة النصرانية تقول: نعم؛ لأن آدم أكل من الشجرة، فورث
جميع البشر خطيئته، ولا خلاص لهم إلا بالإيمان بأن المسيح مات
على الصليب فداءً لهم.
لكن هذا يثير سؤالاً عن العدل: كيف يُحاسب إنسان على ذنب لم
يرتكبه؟

أما الإسلام فيروي القصة بنهاية مختلفة: أخطأ آدم وزوجه، ثم تابا،
فقبل الله توبتهما: ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه﴾، وانتهى
الأمر.

ثم يقرر قاعدة عادلة: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾، أي لا يحمل
أحد ذنب أحد.

ويولد كل طفل نقيّاً، كما قال النبي ﷺ: «كل مولود يولد على
الفطرة».

ولا يحتاج الإنسان إلى من يُصلب عنه ليُغفر له، بل يكفي أن يرجع
إلى ربه صادقاً: ﴿وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى﴾.

٧. هل يحدد مكان ولادتك قيمتك عند الله؟

في نظام الطبقات الهندوسي تُحدّد قيمتك قبل أن تولد. تقول قوانين مانو إن الإله «براهما» خلق البراهمة من وجهه، والمحاربين من ذراعيه، والتجار والمزارعين من فخذه، والخدم «الشودر» من قدميه. والشودر لا يحقّ لهم تعلّم الكتب المقدسة، ولا تملك المال، وفرض الإله عليهم أمرًا واحدًا: خدمة الطبقات الثلاث. وتحتهم «المنبوذون» الذين يُقدّم لهم الطعام كما يُقدّم للحيوانات. فإن أراد أحدهم أن يرتقي، فعليه أن ينتظر حياة أخرى يولد فيها في طبقة أعلى.

أما الإسلام فقد جاء في مجتمع قبلي يتفاخر بالأنساب، فأعلن: ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ﴾.

وكان بلال الحبشي، العبد السابق، مؤذن رسول الله ﷺ، يصعد فوق الكعبة ليؤذن.

فقيمتك عند الله لا يحددها أبوك ولا لונك ولا بلدك، بل يحددها قلبك وعملك.

٨. هل تحتاج المرأة إلى أن تولد رجلاً لتنجو؟

قد يبدو السؤال غريباً، لكن الإجابة في بعض الأديان كانت: نعم. ففي الجينية تعتقد طائفة «ديجامبارا» أن العري الكامل شرط للخلاص، ولأن المرأة لا يُسمح لها به، فلا بد أن تولد من جديد رجلاً حتى تنجو.

وفي بعض المفاهيم البوذية لا يصلح جسد المرأة لبلوغ الاستنارة، فتتظر أن تولد في جسد رجل. بل يرى بعضهم أن المرأة وُلدت امرأة بسبب كارما سيئة في حياة سابقة.

أما الإسلام فقد جعل الطريق إلى الله مفتوحاً للرجل والمرأة بالشروط نفسها: ﴿فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضهم من بعض﴾.

وذكر القرآن نساء صالحات قدوةً للمؤمنين جميعاً رجالاً ونساءً، كمريم ابنة عمران وامرأة فرعون: ﴿وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأت فرعون﴾.

فالمراة في الإسلام لا تحتاج أن تكون شيئاً آخر لتنجو، يكفيها أن تؤمن وتعمل صالحاً.

٩. من يملك مال المرأة؟

سؤال بسيط، لكن إجابته تكشف مكانة المرأة في أي تشريع. قوانين مانو الهندوسية تقول: «لا ملكية للزوجة ولا للابن ولا للغلام، بل كل ما يكسبونه هو ملك لمن ينتمون إليه». فحتى المال الذي تكسبه المرأة بعملها ليس لها. وفي الزرادشتية لم يكن للمرأة أن تتصرف في أملاكها دون موافقة زوجها.

وفي التوراة لا ترث البنت إلا إذا لم يكن لأبيها ابن. أما الإسلام فقد أعطى المرأة ذمة مالية مستقلة تمامًا: مالها لها، تبيع وتشترى وتهب وتستثمر دون إذن أبيها أو زوجها. ومهرها حق خالص لها، لا يجوز للزوج أن يأخذ منه شيئاً ولو كان قنطاراً. ونفقتها على أبيها ثم زوجها، ولو كانت أغنى منهما. وجعل لها نصيباً في الميراث في زمن كان يُحرّمها منه: ﴿ولللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون﴾. فمال المرأة في الإسلام ملك المرأة... وحدها.

١٠. هل يمكنك أن تكون صادقًا أمينًا دون أن تؤمن بالحساب؟

ربما. لكن جرّب هذا الموقف: مال كثير بين يديك، لا يعلم به أحد، ولن يكتشفه أحد أبدًا. ما الذي يمنعك؟

الأديان التي لا تؤمن بآخرة قدمت نصائح أخلاقية جميلة؛ كونفوشيوس مدح الأمانة، وبوذا دعا إلى القول الحق. لكنها لم تربط ذلك بثواب ولا عقاب، فبقيت الأخلاق نصيحة يأخذها من شاء ويتركها من شاء.

أما الإسلام فجعل وراء كل خلق رقيبًا لا يغيب: ﴿ألم يعلم بأن الله يرى﴾، وحسابًا لا يضيع فيه شيء: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره﴾ ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره. ﴿

وربط الأخلاق بالإيمان نفسه: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له».

ولهذا كان المؤمن الحق أمينًا في الظلام كما هو أمين في النور، لأنه لا يتعامل مع الناس فقط، بل يتعامل مع الله.

١١. ماذا يوجد في كتاب اليابان المقدس؟

اليابان دولة متقدمة علميًا، لكن دينها التقليدي «الشتو» يقوم على كتاب اسمه «الكوجيكي»، أي «وقائع الأشياء القديمة».

كتبه أحد النبلاء اليابانيين سنة ٧١٢ للميلاد، وبقيت مخطوطاته سرية حتى عام ١٦١١.

وفيه قصة الخلق: آلهة تولد في سهل السماء، ثم آلهة تتزوج وتلد آلهة أخرى، حتى إن الجزر اليابانية نفسها آلهة ولدتها آلهة. ومن أساطيرهم أن سهماً أُطلق من الأرض فثقب السماء، وأن جسراً كان يصل السماء بالأرض ثم انكسر. ويُعدّ الإمبراطور فيه من نسل آلهة الشمس.

وقد قال عنه بعض النقاد: لو قرأه أحد دون أن يعرف اسمه وموضوعه لظنه قصصاً للأطفال أو مجموعة أساطير خيالية. والكتاب يخلو من العقائد الواضحة والتشريعات التي تنظم حياة الناس.

وهنا يظهر الفرق بين كتاب يروي أساطير قوم، وكتاب يخاطب الإنسان في كل زمان ومكان: ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾.

١٢. كم كتابًا مقدسًا عند الهندوس؟

إذا سألت مسلمًا عن كتابه المقدس، قال: القرآن. لكن إذا سألت هندوسيًا، فالإجابة مكتبة كاملة!

فالهندوس يقدسون مجموعة كبيرة من الكتب تتجاوز الستين، كُتبت خلال نحو ألفي عام: منها الكتب الأربعة المسماة «الويدا»، وهي في الغالب أناشيد في مدح الآلهة، وفي أحدها أكثر من عشرة آلاف بيت. ومنها قوانين مانو للتشريع، وأكثر من مئة وثمانية كتب في قصص الآلهة، وملاحم طويلة كالمهاباراتا التي قيل إنها تحوي مئة ألف بيت. والمشكلة ليست في كثرتها فقط، بل في أنه لا يُعرف كاتبو أغلبها، ولا تاريخ كتابتها بدقة، وتتفاوت التقديرات أحيانًا بخمسمئة عام. ومخطوطة قوانين مانو المعتمدة تبعد عن زمن تأليفه بأكثر من سبعمئة عام. ولغتها السنسكريتية يتحدث بها اليوم أقل من واحد في المئة من سكان الهند.

فكيف يصل الإنسان العادي إلى هدايته في مكتبة لا يعرف أولها من آخرها؟

أما القرآن فكتاب واحد، معروف المصدر، محفوظ النص، حي اللغة، ميسر للفهم: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾.

١٣. لماذا لم يُكتب الإنجيل في حياة المسيح؟

لا تذكر المصادر المسيحية أي كتابة دُوّنت في زمن المسيح عليه السلام، بل تعاليم شفوية وروايات تناقلها الناس.

فلماذا تأخر التدوين؟ تذكر المصادر أن من أسباب ذلك اعتقاد أتباعه الأوائل أن المسيح سيعود قريباً في حياة ذلك الجيل، فلا حاجة إلى الكتابة. وفي إنجيل مرقس: «الحق أقول لكم: إن من القيام ههنا قوماً لا يذوقون الموت حتى يروا ملكوت الله قد أتى بقوة».

ثم كُتبت رسائل بولس أولاً، وبعدها الأناجيل بعقود: مرقس نحو سنة ٦٥-٧٠، ثم متى ولوقا، ثم يوحنا في أواخر القرن الأول، وجمعت كلها نحو سنة ١٢٠ للميلاد كما يذكر البابا تواضروس.

أي أن بين المسيح وأول إنجيل أكثر من ثلاثين عاماً.

أما القرآن فكان يُكتب فور نزوله؛ إذ كان للنبي ﷺ كُتّاب للوحي، وكان الصحابة يحفظونه في وقته. فلم يمت النبي ﷺ إلا والقرآن كله محفوظ في الصدور ومكتوب في الصحف.

١٤. هل يُقبل كتاب مقدس لا يُعرف كاتبه؟

في العهد الجديد رسالة اسمها «الرسالة إلى العبرانيين»، ويعدها النصراني كلام الله. فمن كتبها؟

نسبها بعضهم إلى بولس، ونسبها ترتليان إلى برنابا، ونسبها هارناك إلى امرأة اسمها بريسكلا، واقترح غيرهم لوقا أو غيره، وكان أوريجانوس لا يؤيد نسبتها إلى بولس.

ونقل الدكتور وليم باركلي عن أحد أساتذة العهد الجديد قوله: إنها «لغز العهد الجديد»، وإن أسئلة: متى كُتبت؟ ولمن؟ ومن كتبها؟ لا نجد أمامها «إلا الحدس والتخمين».

بل كتب الدكتور وليم إدي في شرحها: «إننا لا نعرف الكاتب، وعدم معرفتنا إياه لا تأثير له في تفسير الرسالة ولا في اعتبارنا إياها كلام الله».

وهذا يطرح سؤالاً منهجياً مهماً: كيف نتحقق أن نصاً ما وحي إلهي إذا كنا لا نعرف من كتبه؟

في الإسلام لا يُقبل حديث نبوي واحد إلا إذا عُرف رواته واحداً واحداً، وعُرفت عدالتهم وحفظهم. فكيف بكتاب يُنسب إلى الله؟

١٥. لماذا يختلف عدد أسفار الكتاب المقدس بين الطوائف

المسيحية؟

قد يفاجأ كثيرون بأن الكتاب المقدس ليس نسخة واحدة عند جميع النصارى.

فالبروتستانت يعتمدون في العهد القديم تسعة وثلاثين سفرًا. أما الكاثوليك والأرثوذكس فيضيفون سبعة أسفار أخرى، هي: طوبيا، ويهوديت، والحكمة، ويشوع بن سيراخ، وباروخ، والمكابيين الأول والثاني، إضافة إلى أجزاء زائدة في أسفار أستير ودانيال والمزمير. ويسمونها «الأسفار القانونية الثانية». وقد حذفها البروتستانت من كتابهم.

فالسفر الذي يقرؤه الكاثوليك على أنه كلام الله، يراه البروتستانت خارج الكتاب المقدس!

وهذا يعني أن تحديد ما هو كلام الله جاء بقرارات بشرية اختلفت من كنيسة إلى أخرى.

أما القرآن فمصحف واحد، بسوره المئة والأربع عشرة، وترتيبه نفسه، يقرؤه المسلم في المغرب وإندونيسيا وأمريكا، لم يختلف المسلمون في سورة منه ولا آية، على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم.

١٦ . من أمر داود بإحصاء الشعب: الله أم الشيطان؟

في العهد القديم قصة واحدة رُويت في سفرين مختلفين. ففي سفر صموئيل الثاني: «وعاد فحمي غضب الرب على إسرائيل، فأهاج عليهم داود قائلاً: امض وأحصِ إسرائيل ويهوذا». وفي سفر أخبار الأيام الأول، وهو يروي الحادثة نفسها: «وقف الشيطان ضد إسرائيل، وأغوى داود ليحصي إسرائيل». فالفعل نفسه نُسب مرة إلى الرب ومرة إلى الشيطان! ويحاول بعض المفسرين التوفيق بين النصين، بأن الله سمح للشيطان بذلك. لكن الفرق بين الروایتين يكشف أن صورة الشيطان في العهد القديم كانت غامضة؛ فلم يُذكر باسمه العلم إلا في أسفار متأخرة، بل إن الذي أغوى حواء في سفر التكوين هو «الحية». أما في القرآن فالحدود واضحة تمامًا: الله لا يأمر بالشر: ﴿قُلْ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ لَا يَأْمُرَ بِالْفَحْشَاءِ﴾، والشيطان عدو مكشوف من أول القصة إلى آخرها: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾.

١٧. هل يطول عمرُك بعملك الصالح؟

في الديانة التاوية الصينية لا يوجد يوم آخر ولا جنة ولا نار، فكيف يُجازى الإنسان؟

الجزءاء عندهم في هذه الدنيا فقط: المحسن يطول عمره ويعيش في صحة، والمسيء يقصر عمره ويصاب بالأمراض. وفي كتاب تاوي يسمى «رسالة في الأفعال والجزاءات» جدول دقيق: الجريمة البسيطة تُنقص من العمر مئة يوم، والشر الجسيم اثني عشر عامًا، ومن عمل ثلاثمئة عمل صالح صار خالدًا في الأرض، ومن عمل ألفًا وثلاثمئة صار خالدًا في السماء.

لكن الواقع يعترض: فكم من صالح مات شابًا، وكم من ظالم عاش طويلاً!

أما الإسلام فيجمع بين الأمرين: للعمل الصالح بركة في الدنيا، كما قال النبي ﷺ: «من سرّه أن يُيسر له في رزقه، أو يُنسأ له في أثره، فليصل رحمه». لكن الجزءاء الكامل ليس هنا: ﴿وإنما توفون أجوركم يوم القيامة﴾.

فلا يحزن المؤمن إن قصر عمره، فالعبرة ليست بطول الحياة، بل بما تحمله معك إلى الحياة الباقية.

١٨ . هل يمكن أن يكون التسول عبادة؟

في الهندوسية يمر الرجل من الطبقات العليا بأربع مراحل في حياته: مرحلة التلمذة، يعيش فيها على التسول ويعطي ما يجمعه لأستاذه. ثم مرحلة العمل والزواج. ثم مرحلة العبادة، يترك فيها كل ما يملك لابنه الأكبر ويخرج إلى الغابات يعيش على التسول. ثم مرحلة الزهد، يتجول فيها متسولاً.

أي أنه يعمل في مرحلة واحدة، ويعيش ثلاث مراحل بالتسول، وذلك عندهم واجب ديني له طرق وأصول وأوقات.

أما الإسلام فقد صان كرامة الإنسان ورفع قيمة العمل، فقال النبي ﷺ: «لأن يأخذ أحدكم حبله، فيأتي بحزمة الحطب على ظهره فيبيعها، فيكف الله بها وجهه، خير له من أن يسأل الناس، أعطوه أو منعوه».

وقال: «اليد العليا خير من اليد السفلى»، وأخبر أن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده.

وفي المقابل جعل للمحتاج الحقيقي حقاً في الزكاة، يأخذه بكرامة لا بذل. فالزهد في الإسلام زهد القلب، لا ترك العمل وانتظار ما في أيدي الناس.

١٩. من أين يأخذ المسلم أحكام دينه؟

في بعض الأديان كثرت مصادر التشريع وتغيرت: أحكام وضعها الحاخامات في التلمود، وقرارات أصدرتها المجامع الكنسية عبر القرون، وأديان أخرى بلا تشريع أصلاً.

أما الإسلام فمصادره واضحة ومرتبطة:

أولاً: القرآن الكريم، كلام الله المحفوظ: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء﴾.

ثانياً: السنة النبوية، وهي وحي يشرح القرآن ويبيّنه، قال النبي ﷺ: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه».

ثالثاً: الإجماع، أي اتفاق علماء الأمة في عصر على حكم، لقوله ﷺ: «لا تجتمع أمتي على ضلالة».

رابعاً: القياس، أي إلحاق مسألة لا نص فيها بمسألة منصوص عليها لاتفاقهما في العلة.

والفرق الجوهرى: أن الإجماع والقياس لا يأتیان بشريعة جديدة، ولا يجوز أن يخالفا القرآن والسنة، بل هما طريقان لفهمهما وتطبيقهما على ما يستجد.

فالعلماء في الإسلام مستنبطون من النص، لا مشرّعون من دونه.

٢٠. هل يمكن أن يكون العري طريقاً إلى الخلاص؟

في الجينية الهندية فرقة تسمى «ديجامبارا»، ومعنى اسمها: الذين يتخذون السماء ثوباً لهم. يعيش رهبانها عراة تماماً، اقتداءً بمؤسس ديانتهم «مهافيرا»، ويقولون: إن من يملك شيئاً من متاع الدنيا، ولو ثوباً واحداً يستر عورته، لا ينجو.

ولهذا يرون أن المرأة لا تستطيع أن تبلغ الخلاص؛ لأنها لا يُسمح لها بالتعري الكامل، فعليها أن تنتظر حياة أخرى تولد فيها رجلاً. أما الإسلام فيرى في اللباس نعمة من الله وعلامة على كرامة الإنسان: ﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير﴾.

بل يجعل كشف العورة من أول أهداف الشيطان: ﴿يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما﴾.

والحياء في الإسلام جزء من الإيمان، والزهد الحقيقي ليس في التجرد من الثياب، بل في تجريد القلب من التعلق بالدنيا.

٢١. لماذا يفهم الطفل عقيدة الإسلام في دقائق؟

جاء رجل من البادية اسمه ضمام بن ثعلبة إلى النبي ﷺ، فسأله أسئلة قليلة: من أرسلك؟ وبماذا أمرك؟ ثم عاد إلى قومه مسلماً يعلمهم دينهم. جلسة واحدة كانت كافية!

وهذا ليس غريباً، فعقيدة الإسلام واضحة إلى حد مدهش: إله واحد، لا شريك له، أرسل الرسل، وسيحاسب الناس يوم القيامة. قارن ذلك بأديان يقول علماءؤها أنفسهم إن عقيدتها «فوق مستوى العقل»، كالثالوث الذي هو ثلاثة وواحد في الوقت نفسه. أو بالتاوية التي تعرّف إلهها بقولها: «لا أعرف اسمه... لا أستطيع وصفه». أو بالهندوسية التي تجمع في كتبها التوحيد وتعدد الآلهة ووحدة الوجود معاً.

في هذه الأديان يُترك الأمر غالباً لرجال الدين، ويُطلب من العامة التسليم.

أما الإسلام فيخاطب عقلك مباشرة، ويكرر: ﴿أفلا تعقلون﴾، ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾.

دين لا يطلب منك أن تُطفئ عقلك لتؤمن، بل أن تشغله لتؤمن.

٢٢. أول كلمة نزلت من السماء... ماذا كانت؟

لم تكن «صلِّ» ولا «صُمْ» ولا «جاهد»... كانت: ﴿اقرأ﴾!
في غار حراء نزل أول وحي على النبي ﷺ: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾، ثم ذكر القلم في الآيات الأولى: ﴿الذي علّم بالقلم﴾.
وفي أديان أخرى كان العلم الديني حكراً على فئة. ففي الهندوسية لا يحق لطبقة «الشودر» أن تتعلم كتابها المقدس أصلاً. وفي رسالة بولس: «لست آذن للمرأة أن تتعلّم».
أما الإسلام فجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم، ورفع مكانة العلماء: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾، و﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾.
ولم يستثن المرأة؛ فقد قالت النساء للنبي ﷺ: غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يوماً من نفسك، فوعدهن يوماً يعلمهن فيه.
ولهذا خرج من هذه الأمة علماء ملؤوا الدنيا علماً في الطب والفلك والرياضيات... كلهم تلاميذ كلمة واحدة: «اقرأ».

٢٣. هل يجب أن تكون مسلمًا لتنال عدل المسلمين؟

تخيّل أن جارك يخالفك في الدين... ماذا يطلب منك الإسلام تجاهه؟

المفاجأة: يطلب منك أن تكرمه! فالوصية بالجار في الإسلام عامة للمسلم وغير المسلم، والله يقول: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.

لاحظ الكلمتين: «تبرّوهم» و«تقسطوا إليهم»، أي إحسان وعدل. وفي الإسلام لا يكره أحد على الدين: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾. وحذّر النبي ﷺ من الاعتداء على غير المسلم الذي بينه وبين المسلمين عهد، فقال: «من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة». بل أمر القرآن بالعدل حتى مع من تكرهه: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾. فالأخلاق في الإسلام ليست امتيازًا لأتباعه، بل حق لكل إنسان، لأنها في الأصل عبادة لله قبل أن تكون معاملة مع الناس.

٢٤. لماذا حرّم الإسلام الربا؟

في قوانين مانو الهندوسية، من الواجبات التي فرضها الإله على طبقة التجار: «الإتجار، والتعامل بالربا».

أي أن الربا هناك جزء من الواجب الديني لطبقة معينة! أما الإسلام فقد حرّمه تحريمًا شديدًا، وأعلن عليه حربًا: ﴿فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله﴾. ولعن النبي ﷺ أكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه.

لماذا كل هذا التشديد؟

لأن الربا يجعل المال يلد المال دون جهد ولا مخاطرة، فيزداد الغني غنى والفقير فقرًا، وتتحوّل حاجة المحتاج إلى فرصة لاستغلاله. وفي المقابل فتح الإسلام أبوابًا بديلة: البيع والتجارة الحلال: ﴿وأحل الله البيع وحرم الربا﴾، والشراكة التي يتقاسم فيها الطرفان الربح والخسارة، والقرض الحسن الذي يؤجر صاحبه. ﴿يمحق الله الربا ويربي الصدقات﴾.

اقتصاد يقوم على العدل والتكافل، لا على استغلال الضعيف.

٢٥. كيف تحوّل شرابٌ من إله يُعبد إلى محرّم؟

في أناشيد «الويدا» الهندوسية القديمة إله اسمه «سوما»، وهو إله الشراب المختمر! يمدحونه ويقولون إنه يخلّد الآلهة ويهب الناس القوة والنشاط.

فتأمل: شراب يُسكر، يُرفع إلى مقام الألوهية ويُتغنى به. أما الإسلام فرأى في الخمر ما يراه العقل السليم: شيئاً يُذهب العقل، الذي هو أئمن ما يملكه الإنسان، فحرّمها: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾.

وبين السبب: ﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة﴾.

ووضع قاعدة واضحة: «كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام». واليوم، بعد أن أحصت الدراسات ضحايا الكحول من حوادث وأمراض وتفكك أسر، يتبين أن هذا التحريم لم يكن تضييقاً على الإنسان، بل حماية لعقله وصحته وأسرته ومجتمعه.

٢٦. هل تجرؤ أن تشهد ضد نفسك؟

أصعب لحظة في العدل: حين يكون الحق ضدك أنت، أو ضد أبيك وأمك وأقاربك.

كثير من القوانين والشرائع جعلت الأحكام تختلف باختلاف الطبقة والنسب، كما في قوانين مانو التي تميز في الحقوق والعقوبات بين البرهمن وغيره.

أما القرآن فيضع المؤمن أمام امتحان صعب: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما﴾.

العدل هنا لا يحابي قريباً لقربته، ولا غنياً لغناه، ولا يظلم فقيراً لضعفه.

وحين سرقت امرأة من أشرف قريش وأرادوا أن يشفعوا لها، غضب النبي ﷺ وقال: «إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».

عدل يبدأ من النفس وأقرب الناس، هذا هو العدل الذي يبني الأمم.

٢٧. كيف وصف القرآن العلاقة بين الزوجين بكلمة واحدة؟

كلمة واحدة تختصر الحب والستر والدفع: ﴿هَنِّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾.

اللباس أقرب شيء إلى جسدك، يسترُك ويحميك ويجمِّلُك. وهكذا الزوجان في الإسلام.

وفي بعض التصورات الدينية يُرى الزواج مرتبة أدنى، وتُعد العزوبة أفضل. وفي قوانين مانو أن على المرأة أن تحترم زوجها كالإله ولو كان خاليًا من كل فضيلة.

أما الإسلام فجعل الزواج آية من آيات الله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾. سكن: راحة النفس. ومودة: الحب. ورحمة: التي تبقى حين تضعف المودة.

وجعل حسن معاملة الزوجة مقياسًا للخيرية: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي».

وأوصى بها في آخر أيامه: «استوصوا بالنساء خيرًا».

فالزواج في الإسلام ليس صفقة ولا قيدًا، بل شراكة يستر فيها كل منهما صاحبه.

٢٨. هل هناك ذنب أكبر من أن يغفره الله؟

تخيّل إنسانًا عاش سنوات في المعاصي، ثم أراد أن يبدأ من جديد... هل له فرصة؟

في عقيدة الكارما الهندوسية عليه أن يستوفي جزاء أعماله، ربما عبر حيوات متعددة. وفي بعض الكنائس يحتاج إلى كاهن يعترف أمامه ليُمنح الحل من خطاياهم.

أما في الإسلام فالباب مفتوح مباشرة، بلا وسيط، وبلا شروط معقدة: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾.

لاحظ: «جميعاً»... كل الذنوب.

بل أكثر من ذلك، فالتوبة الصادقة لا تمحو السيئات فقط، بل تحوّلها: ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾.

وأخبر النبي ﷺ أن الله أشد فرحاً بتوبة عبده من رجل أضاع راحلته وعليها طعامه وشرابه في صحراء، ثم وجدها.
رب يفرح برجوعك... فماذا تنتظر؟

٢٩. هل تعرف عن نبيك أكثر مما يعرفه أتباع أي دين عن

مؤسسه؟

الهندوسية لا يُعرف لها مؤسس. والشتوية لا مؤسس لها ولا أنبياء. وأقوال بوذا بقيت تُروى شفهيًا، وظهر بعد وفاته الخلاف والاختلاق لبعض الأقوال ونسبتها إليه. وكتبه الأناجيل، كما تقرر مراجع مسيحية، مجهولون ولم يكونوا من شهود العيان.

أما النبي محمد ﷺ فتعرف عنه ما لم يُعرف عن إنسان في التاريخ: نسبه، ومولده، وطفولته، وزواجه، وكيف كان يأكل، وكيف ينام، وكيف يضحك، وكيف يعامل أهله والأطفال والخدم.

ونُقل كل ذلك بالأسانيد المتصلة، ودوّنه العلماء في كتب الحديث كصحيح البخاري ومسلم.

حتى قال أحد المشركين ساخرًا لسلمان الفارسي: علّمكم نبيكم كل شيء حتى آداب قضاء الحاجة؟ فقال: أجل!

ولهذا يملك المسلم قدوة كاملة واضحة في كل جوانب الحياة: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾.

٣٠. هل يطلب منك الإسلام ما لا تطيق؟

في الجينية يصل الزهد إلى حرمان شديد للبدن، وفي بعض طوائفها يعيش الرهبان عراة، ويمتنعون عن الاستحمام. وفي الهندوسية يقضي الرجل في مراحل من عمره متسوّلًا في الغابات بوصف ذلك واجبًا دينيًا. أما الإسلام فقاعدته واضحة: ﴿لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها﴾، و﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾.

وانظر إلى هذا التيسير العملي: المريض يصلي قائمًا، فإن لم يستطع فقاعدًا، فإن لم يستطع فعلى جنبه. والمسافر يقصر الصلاة ويفطر في رمضان. ومن لم يجد الماء تيمّم. والفقير لا زكاة عليه، والعاجز لا حج عليه.

وحذّر النبي ﷺ من التشدد فقال: «إن الدين يسر، ولن يشادّ الدين أحد إلا غلبه».

ولما علم أن بعض أصحابه يريد أن يقوم الليل كله ولا ينام، ويصوم الدهر ولا يفطر، قال: «أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد».

دين يرفع عنك الحرج، ويعطيك من العبادة ما يُحييك لا ما يُرهقك.

٣١. هل كل الأديان طرق مختلفة إلى الله نفسه؟

جملة جميلة تسمعها كثيرًا: «كل الأديان تؤدي إلى الله». لكن ماذا لو كان بعضها لا يؤمن بالله أصلاً؟

البوذية والجينية تنكران وجود خالق للكون. والهندوسية تعبد آلهة كثيرة لها زوجات وأبناء. والشتوية تعبد «الكامي» وهي كل ظاهرة يعجز الإنسان عن السيطرة عليها. والنصرانية تؤمن بإله واحد في ثلاثة أقانيم.

وفي المصير: بعضها يقول بالتناسخ، وبعضها لا يعرف آخره، وبعضها يؤمن بالبعث والحساب.

فكيف تكون طرقاً إلى غاية واحدة وهي مختلفة في الغاية نفسها؟ الإسلام لا يطلب منك أن تحتقر أحداً، لكنه يطلب منك أن تبحث بصدق: ﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾.

ويقدم لك إلهاً واحداً واضحاً، وكتاباً محفوظاً، وجواباً عن الغاية والمصير، ثم يتركك أمام عقلك: ﴿قد تبين الرشد من الغي﴾.

فالسؤال الصحيح ليس: هل الأديان واحدة؟ بل: أيها الحق؟

٣٢. في عصر العلم... هل ما زلنا نحتاج إلى الدين؟

العلم أوصل الإنسان إلى القمر، لكنه لم يستطع أن يجيبه عن سؤال واحد: لماذا أنا موجود؟

العلم يشرح لك كيف ينبض قلبك، لكنه لا يخبرك لماذا تعيش. ويفسر لك كيف تموت الخلايا، لكنه لا يخبرك ماذا بعد الموت. ويصنع لك دواءً، لكنه لا يصنع لك طمأنينة حين يرحل من تحب. ولهذا لم تعرف البشرية مجتمعاً بلا دين، وتشير الدراسات إلى أن كثيراً ممن لا ينتمون إلى دين يؤمنون بالله أو بقوة عليا.

لكن الحاجة إلى الدين لا تعني أن أي دين يكفي. فالدين الذي يلبي حاجتك هو الذي يخاطب عقلك وروحك معاً، ويجيب عن أسئلتك الكبرى بوضوح، ويستند إلى وحي محفوظ.

والإسلام لا يرى العلم خصماً، بل يأمر بالنظر في الكون: ﴿قل انظروا ماذا في السماوات والأرض﴾.

فالعلم يجيب عن «كيف»... والوحي يجيب عن «لماذا».

٣٣. هل يمكن أن يصبح إنسان مثلك إلهاً يُعبد؟

في اليابان قبل أقل من مئة عام، كان ملايين الناس يعبدون رجالاً يعيش بينهم: الإمبراطور!

فالشتوية تعتقد أن الإمبراطور من نسل آلهة الشمس، فقدمت له العبادة بوصفه كائناً إلهياً. وفي الجينية الإنسان الذي يتغلب على شهواته يصير إلهاً، ولهذا آلهتها لا حصر لها، وعددها يزيد باستمرار. وكونفوشيوس لم يدع الألوهية، لكن أتباعه آلهوه بعد موته وقدموا له القرابين.

أما الإسلام فقد أغلق هذا الباب إلى الأبد: لا إله إلا الله. وأعظم إنسان في الإسلام، النبي محمد ﷺ، كان يقول: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله». وهذا يحرر الإنسان: فلا يخضع لملك أو كاهن أو زعيم على أنه إله، ويحفظ الله وحده مقام العبودية.

﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إليكم إله واحد﴾.

٣٤. متى كان الرجل يخجل إذا رُزق بنت؟

في الجاهلية كان أحدهم إذا بُشِّرَ بالأنثى ﴿ظل وجهه مسودًا وهو كظيم﴾... ولم تكن الجاهلية العربية وحدها.

ففي قوانين مانو الهندوسية تحذير من الزواج من «الأسرة التي لا يولد فيها ذكور»، وإباحة أن يتزوج الرجل على زوجته إذا لم تلد له إلا البنات. وفي سفر اللاويين تتضاعف مدة نجاسة المرأة إذا ولدت أنثى بدل الذكر.

أما الإسلام فجعل البنت بابًا إلى الجنة، فقال النبي ﷺ: «من عال جارتين حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو» وضمَّ أصابعه.

تأمل: أجرٌ خاص لتربية البنات لم يرد مثله في تربية الذكور! وكان النبي ﷺ إذا دخلت عليه ابنته فاطمة قام إليها، وأخذ بيدها، وقبلها، وأجلسها في مجلسه.

فالبنت في الإسلام ليست عبثًا ولا عارًا، بل رحمة يُفرح بها، وطريق إلى صحبة رسول الله ﷺ في الجنة.

٣٥. دين يعبد نصف مليار إنسان... بلا إله!

هل تعلم أن أكثر من خمسمئة مليون إنسان يتبعون دينًا لا يؤمن
بخالق للكون؟

إنها البوذية. فهي تنكر وجود إله خالق، حتى اقترح بعض الباحثين
وصفها بأنها دين «لا إلهي»، وأخذ بعضهم يسأل: أهى دين أم فلسفة؟
ومثلها الجينية التي ترفض فكرة الإله الخالق.

لكن غياب الخالق يترك أسئلة كبرى بلا جواب: من أوجد هذا
الكون المنظم؟ ولماذا نحن هنا؟ وإلى أين نمضي؟ ولهذا عجزت هذه
الأديان عن تفسير الغاية من الخلق، لأن عجزها عنه فرغ عن عجزها
عن السؤال الأكبر: من الخالق؟

أما الإسلام فيبدأ من هنا: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ
الْخَالِقُونَ﴾.

سؤال واحد يضع العقل أمام الحقيقة: إما أن الكون أوجد نفسه،
وهذا مستحيل، أو أوجده العدم، وهذا مستحيل، فلم يبقَ إلا أن له
خالقًا.

﴿الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل﴾.

٣٦. هل الشيطان يملك العالم؟

في بعض النصوص يُوصف الشيطان بأوصاف مخيفة: «رئيس هذا العالم»، و«إله هذا الدهر»، وأن له «سلطان الموت»!
بل في إنجيل لوقا يعرض الشيطان على المسيح ممالك العالم ويقول: «فإنها قد سُلمت إليّ، وأنا أعطيها لمن أشاء». وفي الزرادشتية الشيطان إله للشر يخلق الزلازل والأوبئة، ويصارع إله الخير.
أما في الإسلام فالشيطان أضعف مما تتخيل: ﴿إن كيد الشيطان كان ضعيفاً﴾.

لا يملك أن يضرك إلا بإذن الله، ولا يملك ملكاً ولا موتاً ولا حياة، سلاحه الوحيد: الوسوسة والتزيين.
ويوم القيامة يقف ويعترف بنفسه أمام أتباعه: ﴿وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم﴾.
فالمؤمن لا يعيش خائفاً من الشيطان، بل يعرف أنه عدو مكشوف يُطرد بذكر الله: ﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾.

٣٧. هل تكون أقرب إلى الله إذا هربت من الدنيا؟

قال بوذا: إن الألم موجود في كل مراحل الحياة، وإن النجاة في إعدام الشهوة والرغبة إعدادًا تامًّا! وفي الجينية الحياة تعاسة متصلة، والطريق في الحرمان الشديد.

أما الإسلام فيقدم نظرة متوازنة مدهشة: ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾.

فالمسلم يعمل ويكسب ويتزوج ويضحك ويستمتع بالطيبات: ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾، لكنه لا يجعل الدنيا في قلبه.

وقال النبي ﷺ: «نعم المال الصالح للمرء الصالح».

فالقرب من الله لا يكون بالهروب من الحياة، بل بأن تعيشها كما يحب الله: تعمّر الأرض، وتنفع الناس، وتعبد ربك... في السوق كما في المسجد.

٣٨. سفرٌ يحكي موت كاتبه... فمن كتبه؟

يعتقد كثير من اليهود والنصارى أن موسى كتب الأسفار الخمسة الأولى بيده. لكن اقرأ معي هذا النص من سفر التثنية:

«فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب... ودفنه في الجواء... ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم».

فهل يكتب موسى خبر موته ودفنه؟ وتقول الأسفار بعدها: «ولم يقيم بعدُ نبي في إسرائيل مثل موسى»، وهي جملة لا تُكتب إلا بعد موته بزمان طويل.

بل انتهت دراسات علماء يهود ونصارى إلى أن هذه الأسفار جُمعت من مصادر متعددة كُتبت في أزمنة مختلفة، وتعترف بذلك مقدمات الترجمة الكاثوليكية والموسوعة البريطانية.

والمسلم يؤمن أن الله أنزل التوراة على موسى ﴿فيها هدى ونور﴾، لكن حفظها وُكل إلى أهلها: ﴿بما استُحفظوا من كتاب الله﴾.

أما القرآن فتولى الله حفظه بنفسه، فبقي كما نزل حرفاً حرفاً.

٣٩. هل تردّ الأمانة لمن سرقك؟

إنسانٌ خانك وأخذ حقك، ثم ائتمنك على ماله... ماذا تفعل؟
الطبيعي أن تقول: العين بالعين. لكن النبي ﷺ يقول: «أدّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك».

لا تجعل خيانتك سبباً لتصبح مثله.
وكان النبي ﷺ يُلقب قبل البعثة بالصادق الأمين، حتى إن قريشاً التي آذته وتآمرت على قتله كانت تودع عنده أماناتها. وحين خرج مهاجراً، والقوم يحاصرون بيته ليقتلوه، ترك عليّاً رضي الله عنه ليردّ إليهم أماناتهم!

وأمر الله بالأمانة أمراً عاماً لم يقيد بدين ولا نسب: ﴿إِنْ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَوَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾.

وجعل الخيانة من علامات النفاق: «وإذا أوّمتن خان»، وكان النبي ﷺ يستعيز منها: «وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة».
هذه هي الأمانة في الإسلام: خلق ثابت لا يتغير بتغير الناس.

٤٠. خمس مرات في اليوم... ماذا يحدث لجسد المسلم؟

قبل أن تعرف البشرية الجرائم بقرون، كان المسلم يغسل وجهه ويديه وقدميه ويتمضمض ويستنشق خمس مرات في اليوم!

إنه الوضوء. جعله الله شرطاً للصلاة: ﴿فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين﴾، وقال النبي ﷺ: «الطهور شطر الإيمان».

وأضاف الإسلام سنن الفطرة: السواك، وقص الأظفار، والاستنجاء بالماء، والاعتسال من الجنابة، وغسل اليد بعد الاستيقاظ.

وفي المقابل نجد أدياناً كثيرة كالبودية والكونفوشيوسية والتاوية والشتوية لا تقدم أي تشريع للنظافة الجسدية، وترك الأمر للعادات.

ولم يقف الإسلام عند نظافة الجسد، بل جعل الطهارة شاملة: طهارة القلب من الحسد والكبر، وطهارة المال بالزكاة: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾.

وأخبر النبي ﷺ أن أمته تأتي يوم القيامة «غراً محجلين من أثر الوضوء»؛ وجوه وأطراف تتلألأ نوراً، علامة يعرفون بها بين الأمم.

٤١. كم مرة ذكر الإسلام الأم؟

سأل رجل النبي ﷺ: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أمك». قال: ثم من؟ قال: «أمك». قال: ثم من؟ قال: «أبوك».

ثلاث مرات للأم قبل الأب!

وجعل الله بر الوالدين في المرتبة التالية لعبادته: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً﴾، ونهى حتى عن كلمة «أف»، وقرن شكرهما بشكره: ﴿أن اشكر لي ولوالديك﴾.

بل قدّم برهما على الجهاد، فحين جاء رجل يستأذن في الجهاد سأله: «أحيي والدك؟» قال: نعم، قال: «ففيهما فجاهد».

وفي المقابل نجد أدياناً قام مثالها الأعلى على ترك الأسرة، كبوذا الذي ترك والديه وزوجته وابنه ليتنسك، ولا توجد في البوذية نصوص تأمر ببر الوالدين.

وفي الإسلام لا ينقطع البر بموت الوالدين، فتدعو لهما وتتصدق عنهما وتصل أصدقاءهما.

ثم يقول النبي ﷺ: «رغم أنفه» لمن أدرك والديه عند الكبر ولم يدخل الجنة.

٤٢. ماذا لو لم يكن هناك يوم حساب؟

تخيّل طاغية قتل الآلاف، ثم مات على فراشه في قصره، ولم يُحاسب... هل انتهت القصة؟

لو لم يكن هناك يوم حساب، فمعنى ذلك أن الظالم انتصر إلى الأبد، وأن المظلوم خسر إلى الأبد، وأن الكون كله بلا عدل! وقد حاولت بعض الأديان حل المشكلة بالتناسخ، فقالت إن المسيء يولد في حياة أسوأ. لكنه حل غامض: لا يعرف فيه المعاقب لماذا يُعاقب، ولا يرى فيه المظلوم حقه.

أما الإسلام فيقدم الجواب الذي تطمئن إليه الفطرة: يوم يجمع الله فيه الناس جميعاً: ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾.

يومٌ يُقتَص فيهِ حتى للشاة التي لا قرن لها من الشاة ذات القرن، كما أخبر النبي ﷺ.

بهذا الإيمان يصبر المظلوم، ويرتجف الظالم، ويستقيم ميزان الحياة.

٤٣. أي الأديان يكسب أتباعًا جديدًا اليوم؟

تشير توقعات مركز «بيو» الأمريكي للأبحاث إلى أن الإسلام هو الأسرع نموًا بين الأديان الكبرى، وأن نسبة المسلمين مرشحة للاقتراب من نسبة المسيحيين بحلول عام ٢٠٥٠.

وفي حساب التحول الديني بين الداخلين والخارجين من ٢٠١٠ إلى ٢٠٥٠، تتوقع الدراسة أن تخسر المسيحية نحو ٦٦ مليونًا، وأن يكسب الإسلام صافيًا نحو ٣ ملايين.

وفي المقابل تراجع أديان قديمة كانت يومًا دين إمبراطوريات، كالزرادشتية التي لم يبق من أتباعها إلا نحو مئتي ألف.

لكن انتبه: الكثرة ليست دليل الحق، فقد يكون الحق مع القلة. ﴿وإن طمع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله﴾.

ومع ذلك يبقى سؤال يستحق التأمل: لماذا يُقبل الناس على الإسلام رغم ما يواجهه من تشويه؟

ربما لأنهم وجدوا فيه ما بحثوا عنه طويلًا: إلهًا واحدًا، وكتابًا محفوظًا، وجوابًا عن الغاية، وطمأنينة في القلب.

[تنبيه للإنتاج: تُحدّث الأرقام من أحدث تقارير مركز بيو قبل التصوير]

٤٤. هل الله ربّ لشعب واحد؟

«الرب إله العبرانيين»، «الرب إله إسرائيل»... عبارات تتكرر في العهد القديم، تجعل الإله مختصًا بقوم دون غيرهم.

ولهذا لم تكن اليهودية ديانة تدعو غير أتباعها، بل يرى كثير من أتباعها أنها خاصة بنسل بني إسرائيل. وكذلك الهندوسية ارتبطت بالعرق الهندي وطبقاته، فلم تدعُ شعوبًا أخرى.

أما القرآن فيبدأ بقوله: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾. ويخاطب البشر جميعًا: ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم﴾. ويصف رسالة محمد ﷺ: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرًا ونذيرًا﴾.

ولهذا ترى في الحج مشهدًا لا مثيل له: ملايين من كل لون ولغة وبلد، بلباس واحد، يقولون كلمة واحدة: «لبيك اللهم لبيك». وأكثر المسلمين اليوم ليسوا عربًا، بل من إندونيسيا والهند وباكستان وأفريقيا وغيرها.

الله في الإسلام رب الجميع، وبابه مفتوح لكل إنسان بلا وساطة نسب ولا عرق.

٤٥. كذبة يباركها كتاب مقدس!

في قوانين مانو الهندوسية نص يقول: «لا حرج باليمين الكاذبة للزوجة، وعند الزواج، وفي سبيل البقرة والحطب، وإرضاء البرهمن».

أي يجوز أن تحلف كاذبًا لإرضاء رجل من الطبقة العليا!

أما الإسلام فقد حرّم الكذب تحريمًا قاطعًا، وجعله يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار. ولم يرخص إلا في ثلاث حالات محدودة يتحقق فيها خير ولا يتضرر أحد: الإصلاح بين المتخاصمين، والحرب، وحديث الرجل امرأته والمرأة زوجها بما يقرب بينهما. وحمل كثير من العلماء ذلك على التعريض والتورية لا على الكذب الصريح.

وقال النبي ﷺ: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، فينمي خيرًا أو يقول خيرًا».

فالفرق كبير: استثناء يخدم طبقة على حساب الحق، واستثناء ضيق يخدم الإصلاح والمحبة.

بل إن الإسلام حرّم حتى الكذب الذي يُراد به إضحاك الناس: «ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم، ويل له، ثم ويل له».

٤٦. سبعة زوجه... في أي كتاب؟

يظن بعض الناس أن الإسلام هو الذي جاء بتعدد الزوجات. لكن العهد القديم ينسب إلى سليمان «سبع مئة من النساء السيدات وثلاث مئة من السراري»!

فالتعدد كان معروفًا في أكثر الأمم بلا حد: في الزرادشتية بقدر ما يستطيع الرجل، وفي الصين والهند حتى منعه القوانين الحديثة. ولم يمنعه الفقه اليهودي في الغرب إلا في القرن الحادي عشر.

ولا يوجد في الأناجيل نص من كلام المسيح يمنع التعدد، بل في رسالة بولس: «يجب أن يكون الأسقف... بعل امرأة واحدة»، فخصّ الأسقف بذلك.

فماذا فعل الإسلام؟ لم يُنشئ التعدد، بل وضع له حدًا وهو أربع، واشترط العدل: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ﴾، وحذّر الظالم: «من كانت له امرأتان فمال إلى إحدهما جاء يوم القيامة وشقه مائل».

فالإسلام أخذ ممارسة كانت بلا ضابط، فنظّمها وقيدّها، وجعلها حلًّا مسؤولًا لحالات حقيقية، لا بابًا مفتوحًا للهوى والظلم.

٤٧. من أكل من الشجرة أولاً... آدم أم حواء؟

آلاف السنين والمرأة تُحَمِّل ذنب خروج البشر من الجنة! ففي سفر التكوين أن الحية أغوت حواء فأكلت ثم أعطت آدم، وجاء عقابها: «بالوجع تلدين أولادًا... وهو يسود عليك». وبنى بولس على ذلك فقال: «آدم لم يُغَوَّ، لكن المرأة أُغويت»، فمنعها من التعليم. وفي سفر يشوع بن سيراخ: «من المرأة ابتدأت الخطيئة». أما القرآن فيروي القصة بعدل مختلف: الشيطان وسوس لهما معًا: ﴿فوسوس لهما الشيطان﴾، وأكلا معًا، وندما معًا، وقالوا معًا: ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾. بل نسب القرآن العصيان في موضع إلى آدم نفسه: ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾ ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى. فلا امرأة تحمل وزر البشرية، ولا خطيئة تُورث، بل خطأ وتوبة وقبول.

هكذا أنصف القرآن حواء... وأنصف كل امرأة بعدها.

٤٨. دين يتغير كل عشرين سنة... هل هو من عند الله؟

تخيّل قانونًا للمرور يتغير كلما غضب السائقون منه... هل سيبقى له احترام؟

بعض الأديان غيّرت تشريعاتها مرارًا لتوافق رغبات أتباعها: كنائس تختلف في الطلاق والزواج والعدة، وأحكام تُضاف وأخرى تُلغى بقرارات المجامع. حتى إن السيخية الحديثة تكيّفت مع الفكر الغربي في كثير من أحكامها.

وهنا سؤال منطقي: إذا كان الدين يتغير بتغير أهواء الناس، فمن الذي يقود؟ الدين أم الناس؟

أما الإسلام فيجمع بين أمرين بحكمة: ثوابت لا تتغير، كالتوحيد، والأخلاق، وأصول العبادات، وأحكام الأسرة الكبرى؛ لأن الإنسان في جوهره لا يتغير. ومساحات واسعة للاجتهاد تستوعب المستجدات في كل عصر.

ولهذا بقي القرآن نفسه أربعة عشر قرنًا، يعيش به المسلم في الصحراء والمدينة، وفي القرن السابع والقرن الحادي والعشرين. ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾... والكامل لا يحتاج إلى تبديل.

٤٩. هل كنت في حياة سابقة قطعة أو ملكًا؟

يقول بعض الناس اليوم: «أشعر أنني عشت من قبل!» وهذه فكرة قديمة اسمها التناسخ.

في الهندوسية والبوذية والجينية: إذا مات الإنسان عادت روحه إلى الدنيا في جسد آخر، فإن أحسن وُلد في حياة أفضل، وإن أساء وُلد مريضًا أو حيوانًا أو حشرة، ويتكرر ذلك حتى تتخلص الروح من دائرة المولد. لكن تأمل: كيف يكون عدلاً أن تُعاقب على ذنب لا تذكره ولا تعرفه؟ وكيف تتوب من خطأ لا تدري ما هو؟

أما الإسلام فيقرر أن لك حياة واحدة، هي فرصتك الوحيدة: ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون﴾ * لعلني أعمل صالحًا فيما تركت كلا﴾.

ثم بعث وحساب واضح، تقرأ فيه صحيفتك بنفسك: ﴿اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيًّا﴾.

لا دورات لا تنتهي، ولا عقاب مجهول السبب... بل حياة واحدة، ومسؤولية واضحة، وعدل كامل.

٥٠. لماذا لا يرحم بعض الناس المريض والفقير؟

تخيّل أن ترى طفلاً معاقاً فتقول: «يستحق ذلك، لقد كان سيئاً في حياته السابقة!»

هذا ما تؤدي إليه عقيدة الكارما الهندوسية حين تُطبّق بحرفيتها: فما يصيبك اليوم جزاء أعمالك في حياة سابقة. ولهذا تذكر المصادر أن كثيراً من الهندوس لم يكونوا يشعرون بالتعاطف مع الطبقات الوضيعة أو مع أصحاب الأمراض، لأنهم يرونهم يستوفون جزاء ذنوبهم. أما الإسلام فيرى المرض والفقرا ابتلاءً قد يصيب أحب الناس إلى الله، فقد سئل النبي ﷺ: أي الناس أشد بلاءً؟ قال: «الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل».

والمصيبة في الإسلام تكفر الذنوب وترفع الدرجات، والمبتلى يستحق الرحمة لا الشماتة.

ولهذا جعل الإسلام عون المحتاج عبادة: الزكاة فريضة، والصدقة قربة، وعيادة المريض حق للمسلم على أخيه، وقال ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء». عقيدة واحدة تصنع قسوة، وأخرى تصنع رحمة.

٥١. كلمة «الثالوث»... ابحث عنها في الإنجيل!

قد تفاجأ: كلمة «الثالوث» التي يقوم عليها إيمان أغلب النصارى، لا توجد في الأناجيل ولا في رسائل العهد الجديد. وكذلك لفظ «الأقنوم» لم يعرفه المسيح ولا تلاميذه.

فمن أين جاءت العقيدة؟ صيغت تدريجياً في المجامع: في مجمع نيقية سنة ٣٢٥م تقرر أن الابن مساوٍ للأب في الجوهر، ثم في مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م أضيفت ألوهية الروح القدس.

ويقر بعض علماء النصارى بأن لفظ «أقنوم» نفسه قاصر عن إيضاح هذه العقيدة، ويقولون إن فهمها فوق مستوى العقل.

ونحن نحترم أن لكل كنيسة فهمها لنصوصها، لكن السؤال المشروع: كيف يكون أساس الإيمان أمراً لم يصرّح به المسيح، واحتاج إلى أكثر من ثلاثة قرون ليُصاغ؟

أما التوحيد في الإسلام فيفهمه الطفل والفيلسوف معاً في أربع آيات: ﴿قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد﴾.

٥٢. هل نقل محمد ﷺ عقيدة الآخرة عن المجوس؟

شبهة يرددها بعضهم: في الزرادشتية بعث وحساب وميزان وصراط وجنة ونار، إذن الإسلام اقتبسها!

لكن انتظر... كتاب الزرادشتية «الأفستا» أُحرق في غزو الإسكندر، ثم أعيدت كتابته، ثم فُقد، ولم يبق منه إلا خمسة أسفار، وأقدم مخطوطة له من القرن الرابع عشر الميلادي، أي بعد الإسلام بنحو سبعة قرون! فمن يضمن أن هذه النصوص لم تتأثر بما جاء بعدها؟ ثم إن الإسلام نفسه يخبرنا أن الله أرسل الرسل إلى كل الأمم: ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾، فلا عجب أن تبقى في الأديان القديمة بقايا من رسالات سابقة، كالإيمان بالبعث والجزاء.

والتشابه في بعض المعاني لا يلغي الفرق الجوهرية: الزرادشتية تجعل للشر قوة تصارع إله الخير، والإسلام توحيد خالص لا شريك فيه.

فالتشابه دليل على أصل مشترك من الوحي، لا على اقتباس.

٥٣. طفل فقد أباه... من يتولاه؟

اليتم أضعف إنسان في المجتمع، وطريقة التعامل معه تكشف رحمة أي دين.

في قوانين مانو نص واحد يوصي الملك بحفظ إرث القاصر. وفي البوذية والتاوية والشتوية لا توجد نصوص عن الأيتام.

أما الإسلام فبنى لليتم منظومة حماية كاملة:

نفقة مضمونة: من ماله إن كان له مال، وإلا فعلى أقاربه، ثم على بيت المال.

ومال محفوظ: ﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن﴾، وعقاب شديد لمن يأكله: ﴿إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً﴾.

وكرامة مصونة: ﴿فأما اليتيم فلا تقهر﴾.

وأجر لا يُتخيل لمن يكفله: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا»، وأشار النبي ﷺ بالسبابة والوسطى.

ولعل من حكمة ذلك أن النبي ﷺ نفسه نشأ يتيماً: مات أبوه قبل ولادته، ومات أمه وهو في السادسة.

فاليتيم في الإسلام ليس مسكيناً يُشفق عليه فقط... بل طريقك إلى جوار رسول الله ﷺ.

٥٤. دين بلا جيش... كيف وصل إلى إندونيسيا؟

أكبر دولة مسلمة في العالم اليوم هي إندونيسيا، ولم يصلها جيش مسلم قط!

وصلها الإسلام عبر تجار حملوا معهم أخلاقهم وصدقهم، فدخل الناس في دين الله.

وفي بدايات الإسلام نفسه مقارنة لافته: النصرانية بقيت نحو ثلاثة قرون جماعات صغيرة مطاردة، ولم تنتشر انتشاراً واسعاً إلا حين اعتنقها الإمبراطور الروماني قسطنطين، فنشرتها الإمبراطورية.

أما الإسلام فبدأ بنبي مطارد في مكة، ثم كَوّن هو دولته، وتقدر بعض الدراسات المسلمين بعد نحو سبعين عاماً من وفاته ﷺ بأكثر من ستة ملايين.

والأهم: أن البلاد التي دخلها الإسلام بقيت مسلمة باختيار أهلها قرونًا بعد زوال الدول التي فتحتها، وانتشر في أجزاء واسعة من أفريقيا وآسيا بالدعوة والتجارة.

فما السر؟ عقيدة واضحة توافق الفطرة، وأخلاق تجذب القلوب: ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾.

[تنبيه للإنتاج: الأرقام التاريخية تقديرية وتذكر بصيغة التقريب]

٥٥. هل ترك الزواج أقرب إلى الله؟

في بعض الكنائس يُمنع الكاهن من الزواج، وفي رسالة بولس: «حسن للرجل ألا يمس امرأة»، و«من زوّج فحسناً يفعل، ومن لا يزوّج يفعل أحسن».

وفي البوذية قام المثل الأعلى على ترك الأسرة، كما ترك بوذا زوجته وابنه ليتنسك.

أما في الإسلام فالقصة مختلفة تمامًا: فالنبي ﷺ يدعو الشباب إلى الزواج: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج».

وحين استأذنه بعض الصحابة في التبتّل وترك الزواج تفرغًا للعبادة، ردّ ذلك عليهم ولم يأذن لهم.

فالزواج في الإسلام سنة الأنبياء: ﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجًا وذرية﴾، وفيه أجر حتى في العلاقة بين الزوجين. الإسلام لا يرى الفطرة عدوًّا يُقهر، بل طاقة تُوجّه إلى الحلال، فتُبني بها الأسرة ويعمر بها الكون.

٥٦. هل الحل أن تعود إلى الغابة؟

مع ضغط الحياة الحديثة، تنتشر دعوات للبساطة والهروب إلى الطبيعة. وهي فكرة قديمة قامت عليها الديانة التاوية في الصين. فالتاوية تدعو إلى العودة إلى الحياة الطبيعية، والوقوف موقفًا سلبيًا من الحضارة والعمل والتخطيط، وترى الكمال في الاستسلام للطبيعة والاتحاد معها.

وفي هذه الدعوة شيء من الحكمة؛ فالإنسان المعاصر غرق في الاستهلاك والقلق.

لكن الإسلام يقدم توازنًا أعمق: الطبيعة ليست إلهاً يُستسلم له، بل كتاب مفتوح تقرأ فيه آيات خالقها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

والمسلم لا يهرب من الحضارة، بل بينها: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾. حتى قال النبي ﷺ: «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَلَّا يَقُومَ حَتَّى يَغْرُسَهَا فَلْيَغْرُسْهَا». فالسعادة ليست في الهروب من الحياة، بل في معرفة خالقها، والعيش كما يحب.

٥٧. رجل لم ير المسيح... كتب نصف العهد الجديد تقريباً!

بولس لم يلتق بالمسيح في حياته، بل كان يضطهد أتباعه، ثم أعلن أن المسيح ظهر له في الطريق إلى دمشق.

ومع ذلك تُنسب إليه أربع عشرة رسالة من سبعة وعشرين سفرًا في العهد الجديد، وهي أول ما كُتب منه، قبل الأناجيل.

ومن أهم ما قرره: أن الإنسان يتبرر بالإيمان لا بأعمال الناموس، أي الشريعة. ورُفعت أحكام الشريعة الموسوية عن غير اليهود الداخلين في الدين.

بينما نُقل عن المسيح في إنجيل متى: «لا تظنوا أنني جئت لأُنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأُنقض بل لأُكمل».

ويروي سفر أعمال الرسل قصة ظهور المسيح لبولس بروايتين مختلفتين: في إحدهما أن رفاقه سمعوا الصوت، وفي الأخرى أنهم لم يسمعوه.

ولهذا يرى كثير من الباحثين أن النصرانية كما يعرفها الناس اليوم تشكّلت على يد بولس أكثر من تلاميذ المسيح.

أما الإسلام فمصدره وحي نزل على النبي نفسه، ونقله عنه صحابته الذين عاشوا معه.

٥٨. هل تخاف من الوسوسة؟ إليك الحل

أفكار مزعجة تطاردك، وسوسة في الصلاة، خوف بلا سبب... ماذا تفعل؟

بعض الأديان لا تعرف الشيطان أصلاً، وبعضها يتحدث عن أرواح شريرة تُطرد بطقوس كالمُح والماء وعصا التنقية.

أما الإسلام فقدم لك برنامجاً واضحاً:

أولاً: اعرف عدوك؛ إنه ضعيف، لا يملك إلا الوسوسة: ﴿إن كيد الشيطان كان ضعيفاً﴾.

ثانياً: استعذ بالله: ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم﴾.

ثالثاً: أكثر من ذكر الله، فالشيطان «الوسواس الخناس» يخنس ويتراجع عند الذكر، وفي المعوذتين وآية الكرسي حصن يومي.

رابعاً: حافظ على الصلاة، فهي تقوي القلب.

خامساً: لا تسترسل مع الوسواس، وتمسك باليقين، فقد قال النبي ﷺ لمن يشك في وضوئه: «فلا ينصرف حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً».

فالمؤمن لا يعيش خائفاً، بل متوكلاً: ﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾.

٥٩. زواج بالخطف... في كتاب مقدس!

في قوانين مانو الهندوسية ثمانية أنواع من الزواج، منها نوع اسمه «راكشش»: أن يتزوج الرجل امرأة جبراً، بعد أن يخرجها من بيت أبيها وهي تبكي وتتحب!

وفي المجتمع الهندوسي التقليدي كانت الفتاة تُخطب منذ طفولتها، ويختار أهلها زوجها دون رأيها. وفي الصين القديمة لم يكن للمرأة حق اختيار زوجها.

أما الإسلام فجعل رضا المرأة شرطاً لصحة الزواج، فقال النبي ﷺ: «لا تُنكح الأيم حتى تُستأمر، ولا تُنكح البكر حتى تُستأذن».

وجاءت فتاة إلى النبي ﷺ فأخبرته أن أباهاً زوّجها بغير رضاها، فجعل الأمر إليها: إن شئت أمضت، وإن شئت ردّت.

واشترط الإسلام مع الرضا وجود الولي والشهود والمهر، لا ليتحكم أحد في المرأة، بل ليحميها ويحفظ حقها، والمهر حق خالص لها لا لأبيها.

فالزواج في الإسلام عقد بين طرفين راضيين، لا صفقة تُعقد على المرأة.

٦٠. ما الكذبة التي لا يوجد أظلم منها؟

كل الكذب قبيح... لكن هناك كذبة تكرر القرآن السؤال عنها:
﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبًا﴾.

إنها الكذب على الله: أن تنسب إليه ما لم يقل، أو تحلل وتحرم باسمه بغير علم، فتُضل الناس وأنت تظن أنك تخدم الدين.

ثم يليها الكذب على النبي ﷺ، لأنه كذب في التشريع يفسد الدين كله: «إن كذبًا عليّ ليس ككذب على أحد، من كذب عليّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار».

ولهذا وضع المسلمون علمًا كاملاً لم تعرفه أمة قبلهم: علم الإسناد، يفحصون فيه كل راوٍ للحديث: صدقه، وحفظه، ولقاءه بمن روى عنه، حتى يتميز الصحيح من المكذوب.

ثم الكذب على الناس: شهادة الزور التي جعلها النبي ﷺ من أكبر الكبائر وظل يكررها حتى قال الصحابة: ليته سكت، والتاجر الذي يحلف كاذبًا لبيع سلعته.

فالصدق في الإسلام ليس أدبًا فقط، بل أمانة أمام الله والناس.

٦١. آلهة لا يحصيها العدّ... فأين الإله الواحد؟

يصف المؤرخ غوستاف لوبون آلهة الهندوس القديمة بأنها «آلهة لا يحصيها عدّ»! فكيف يتعامل الهندوسي مع هذا العدد؟

في كتبهم القديمة إله للنار «أغني»، وإله للعواصف «إندرا»، وإله للشمس، وإله للشراب المختمر «سوما»، ولبعض الآلهة زوجات وأبناء، وتتجسد في صور بشر وحيوانات.

ثم جمع الكهنة الآلهة في ثلاث: براهما الخالق، وفشنو الحافظ، وشيفا المهلك. وفي كتبهم أيضًا «وحدة الوجود»: أن الله هو كل شيء، وكل شيء هو الله.

فتجد في المصادر نفسها التوحيد والتعدد ووحدة الوجود معًا، ولهذا انقسمت الهندوسية إلى طوائف تختلف في أي الآلهة أحق بالعبادة.

أما الإسلام فقد أراح الإنسان من هذا التشتت: إله واحد، خالق كل شيء، مبين لخلقه، لا زوجة له ولا ولد، ولا يتجسد في شيء.

﴿أَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرَ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾.

عبادة واحدة لرب واحد، فيها راحة القلب ووضوح الطريق.

٦٢. «الرجال قوامون»... هل تعني السيادة؟

آية تُقتطع كثيرًا من سياقها: ﴿الرجال قوامون على النساء﴾. فهل تعني أن الرجل سيد والمرأة تابع؟

لاحظ أن الله لم يقل «الرجال سادة»، بل قال «قوامون»، وهي صيغة مبالغة من القيام بالأمر: أي القيام بالنفقة والحماية والرعاية. ثم ذكر السبب: ﴿وبما أنفقوا من أموالهم﴾.

فالقوامه تكليف قبل أن تكون تشريعًا: الرجل ملزم بالنفقة على زوجته ولو كانت أغنى منه، وهي غير ملزمة بشيء.

وفي المقابل للمرأة مكانتها: «والمرأة راعية على بيت زوجها وولده»، ولها حقوق مثل التي عليها: ﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف﴾، والنبي ﷺ يقول: «خيركم خيركم لأهله».

وقارن ذلك بقوانين مانو: «على المرأة أن تحترم زوجها كالله ولو كان عاريًا من كل فضيلة».

فالقوامه في الإسلام قيادة مسؤولة لسفينة الأسرة، تقوم على العدل والمشورة، لا على الاستبداد والتسلط.

٦٣. هل أنت من يصنع مصيرك؟

سؤال يحيرّ الفلاسفة: هل كل شيء مكتوب؟ أم أنا من يختار؟ الهندوسية تقول: قدرك تصنعه أعمالك، لكنك تحمل أيضًا نتائج أعمال حيات سابقة لا تذكرها. والبوذية تقول: أنت مسؤول عن نفسك وحدك، «وليس للآلهة من الأمر شيء».

أما الإسلام فيجمع الحقيقتين بتوازن: الله عليم بكل شيء، قدر كل شيء. وأنت في الوقت نفسه مختار، مسؤول عن عملك: ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾، و﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾.

فالمسلم يعمل ويخطط ويأخذ بالأسباب، ثم يتوكل على الله. لا يتكاسل بحجة القدر، ولا يغترّ بقدرته كأنه يملك كل شيء.

وفوق ذلك لا يُترك وحده: إذا أخطأ تاب، وإذا ضعف دعا، وإذا أصابته مصيبة صبر واحتسب، وقال النبي ﷺ: «أحرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز».

مسؤولية حقيقية... لكن في كنف رب رحيم.

٦٤. أين الجنة والنار في توراة موسى؟

قد يفاجئك أن الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم، المسماة «التوراة»، لا تذكر الجنة والنار ويوم القيامة صراحة!

بل يأتي الجزء فيها دنيويًا في الغالب، ففي سفر التثنية: «وإن سمعت سمعًا لصوت الرب إلهك... يجعلك الرب إلهك مستعليًا على جميع قبائل الأرض... مباركًا تكون في المدينة، ومباركًا تكون في الحقل». ولم تأتِ الإشارات الواضحة إلى القيامة إلا في أسفار متأخرة، كسفر دانيال: «وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون، هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار».

ولهذا اختلف اليهود قديمًا: فأنكر الصدوقيون قيام الأموات، وآمن به الفريسيون، واليهودية الربانية اليوم تؤمن بالقيامة اعتمادًا على هذه الأسفار وعلى التقليد.

أما القرآن فجعل الإيمان باليوم الآخر ركنًا من أركان الإيمان، وذكره في مئات المواضع، ووصف مشاهدته تفصيلًا كأنك تراها: البعث، والحشر، والميزان، والصراط، والجنة، والنار.

لأن الإيمان بالآخرة هو الذي يعطي للحياة معناها، ولكل عمل قيمته.

٦٥. كانوا يعزلونها في زاوية البيت... ماذا فعل الإسلام؟

في الزرادشتية كانت المرأة الحائض تُعزل في جزء من البيت حتى لا يقع نظرها على النار المقدسة، ويقف من يقدم لها الطعام على بعد ثلاث خطوات!

وفي سفر اللاويين: «وكل من مسّها يكون نجسًا إلى المساء، وكل ما تخطبج عليه في طمئتها يكون نجسًا»، ثم تقدم بعد طهرها ذبيحة خطيئة، كأنها ارتكبت ذنبًا!

أما الإسلام فقد رفع عنها هذا كله. فهي تترك الصلاة والصوم مدة الحيض، ولا تقضي الصلاة تخفيفًا عليها، ويمتنع الجماع فقط.

وكان النبي ﷺ يتكئ في حجر عائشة وهي حائض فيقرأ القرآن، ويشرب من الإناء من موضع فمها، وحين قال لها: ناوليني الخُمرة، قالت: إني حائض، فقال: «إن حيضتك ليست في يدك».

فلا عزل، ولا تنجيس لجسدها، ولا كفارة على أمر لا ذنب لها فيه. بل مراعاة لحالها، ورحمة بها، وحفظ لكرامتها.

٦٦. لماذا يحب المسلم موسى وعيسى؟

قد يستغرب غير المسلم: المسلم لا يصح إسلامه إلا إذا آمن بموسى وعيسى، ولا يذكر اسميهما إلا ويقول: عليهما السلام! والسبب أن الإسلام ليس دينًا جديدًا جاء به محمد ﷺ، بل هو الدين الذي جاء به كل الأنبياء: الاستسلام لله وحده.

قال القرآن عن إبراهيم: ﴿ما كان إبراهيم يهوديًا ولا نصرانيًا ولكن كان حنيفًا مسلمًا﴾، وقال موسى لقومه: ﴿إن كنتم آمتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين﴾، وقال حوارثو عيسى: ﴿آمنّا بالله واشهد بأنا مسلمون﴾.

فالرسالة واحدة: ﴿اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾، واختلفت الشرائع في التفاصيل: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا﴾.

وفي القرآن سورة كاملة باسم «مريم»، تكريمًا لأم المسيح، ويذكر اسم موسى أكثر من مئة مرة.

ومحمد ﷺ خاتم هذه السلسلة المباركة، قال: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم... الأنبياء إخوة».

فالمسلم حين يؤمن بهم، يؤمن بإخوة نبيه.

٦٧. كتاب مقدس يقول: أقاربك لن ينفعوك!

في كتاب السيخ المقدس نص يقول: «الأب والأولاد والزوج والأم وجميع الأقارب لن يكونوا مساعدين لك في النهاية».

وفي أديان أخرى كالجينية والبوذية والتاوية والشتوية لا نجد نصوصاً تأمر بصلة الأقارب، بل تُركت للعادات.

أما الإسلام فجعل صلة الرحم عبادة، وقطيعتها إفساداً في الأرض: ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾.

وفي الحديث القدسي أن الله قال للرحم: «أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟».

وجعلها علامة إيمان: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه».

ووعد الواصل بالبركة في الدنيا: «من سرّه أن يُيسر له في رزقه، ويُيسر له في أثره، فليصل رحمه».

بل جعل أعلى درجاتها أن تصل من قطعك: «ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قُطعت رحمه وصلها».

فالأسرة في الإسلام ليست عبئاً تتخلص منه، بل شبكة أمان تحميك حين تتخلى عنك الدنيا.

٦٨. إلهان يتصارعان... أم رب واحد؟

تخيّل كونًا يحكمه إلهان: إله للخير يخلق كل جميل، وإله للشر يخلق الزلازل والأوبئة والموت، وبينهما حرب لا تتوقف!

هكذا تصور كثير من الدارسين الزرادشتية: «أهورامزدا» إله الخير، و«أهرمان» مصدر الشر. لكن هذا التصور يجعل الإله ضعيفاً، ينازعه غيره في ملكه. ولهذا بقيت في الزرادشتية معضلة: إن كان أهورامزدا لا يخلق إلا الخير، فمن خلق الشيطان؟

أما الإسلام فيحسم المسألة: الله وحده خالق كل شيء، لا شريك له ولا منازع: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾.

خلق إبليس، فاختار هو العصيان بإرادته. وجعل الله الخير والشر ابتلاءً: ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون﴾.

فبالاختيار يكون للإيمان قيمة، وبالابتلاء يظهر الصبر، وبالظلم في الدنيا يظهر عدل الآخرة.

لا إلهان يتصارعان، بل رب واحد حكيم، يدبر الكون بحكمة نعلم بعضها، ويخفى علينا بعضها.

٦٩. طلقها... ولكن لا تُخرجها من بيتك!

قانون عجيب: يطلق الرجل زوجته، ثم يأمره القرآن ألا يخرجها من البيت! ﴿لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن﴾. لماذا؟
الجواب في الآية نفسها: ﴿لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً﴾. فقربهما في البيت قد يعيد المودة، وتنطفئ نار الغضب.
وهذه حلقة واحدة في نظام دقيق يمنح الزوجين فرصة للمراجعة في كل خطوة:

الطلاق يكون في طهر لم يجامعها فيه، لا في وقت الحيض، حتى لا يكون عن نزوة عابرة.

وله أن يراجعها في العدة دون عقد جديد.

والطلاق مرتان فقط يمكن بعدهما الرجوع: ﴿الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾.

ولا يأخذ من مهرها شيئاً ولو كان قنطاراً.

في الوقت الذي منعت فيه بعض الكنائس الطلاق تماماً، وأباحته شرائع أخرى بلا ضابط، جاء الإسلام بنظام وسط: باب مفتوح عند الحاجة، لكنه محاط بفرص كثيرة للرجوع.

٧٠. استحمام ببول الثور؟!

قد لا تصدق، لكن في نصوص «الأفستا»، كتاب الزرادشتية، يُطَهَّر من لمس جثة ميت بغسله ببول الثور عدة مرات ثم بالماء!

وفي قوانين مانو الهندوسية تُطَهَّر الثياب والعظام والعاج بمزيج من بول البقر والماء، وتُطلى أرض البيت بروث البقر.

بل بلغ تعظيم الماء عند الزرادشتيين حدًّا جعلهم يتركون استعماله في إزالة النجاسات، فلا يغسلون أيديهم بعد الأكل ولا يتمضمضون، خوفاً من تدنيسه، ويكتفون بمسح الشفاه!

أما الإسلام فقد جعل الماء الطهور أساس الطهارة، وامتنَّ به على الناس: ﴿وَيَنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾.

وجعل البول والغائط نجاسة تُزال بالماء، وكان النبي ﷺ يستنجي بالماء، وأثنى الله على أهل قباء: ﴿فِيهِ رَجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾.

ومع ذلك نهى عن الإسراف في الماء، وعن تلويثه: «لا يبولنَّ أحدكم في الماء الدائم ثم يغتسل منه».

طهارة توافق العقل والفطرة... وتحفظ الماء والصحة معاً.

٧١. المساواة... هل هي دائماً عدل؟

تخيّل أن معلماً أعطى الطالب المريض والطالب السليم الواجب نفسه بالضبط... هل هذا عدل؟

يرتفع اليوم شعار المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة في كل شيء. والإسلام يساوي بينهما مساواة كاملة في الإنسانية، والكرامة، والأجر عند الله: ﴿أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى﴾، وفي الأهلية المالية والتكاليف الشرعية.

لكنه لا يجعلهما نسخة واحدة في كل شيء، لأن الله خلقهما مختلفين في الطبيعة والوظيفة. فجاء التشريع قائماً على العدل: أن يُعطى كل منهما ما يناسبه، ويُكَلَّف بما يطيق.

فالرجل مكلف بالمهر والنفقة، والمرأة لا تُكَلَّف بشيء من ذلك ولو كانت غنية. ولهذا يكون نصيب الرجل أكبر في بعض حالات الميراث، وفي حالات أخرى ترث المرأة مثله أو أكثر.

﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف﴾: حقوق تقابلها واجبات. فالمساواة في كل شيء قد تظلم أحدهما... أما العدل فيعطي كل ذي حق حقه.

٧٢. يوم القيامة... من سيكلمك؟

تخيّل هذا المشهد: يوم القيامة، تقف وحدك... ثم يكلمك ربك مباشرة، بلا وسيط!

قال النبي ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان».

في الاعتقاد المسيحي الدينونة أُعطيت للمسيح، ففي إنجيل يوحنا: «لأن الآب لا يدين أحدًا، بل قد أعطى كل الدينونة للابن». لكن نصوصًا أخرى تقول غير ذلك؛ فقد نُسب إلى المسيح قوله: «أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئًا، كما أسمع أدين»، وفي رسالة بولس أن الابن في النهاية «سيخضع للذي أخضع له الكل».

أما في الإسلام فالله وحده هو الذي يحاسب: ﴿إِن إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾.

والأنبياء في ذلك اليوم عباد الله، يشهدون على أممهم ويشفعون بإذنه، ولا يملكون من الحكم شيئًا.

وفي ذلك اليوم يرى المؤمنون أعظم نعيم: النظر إلى وجه الله الكريم: ﴿وَجْهَ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.

سؤال يستحق التفكير: ماذا ستقول لربك حين يكلمك؟

٧٣. حتى ظنَّ أنه سيورّثه!

كان جبريل يوصي النبي ﷺ بالجار مرة بعد مرة، حتى قال النبي ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورّثه»!

تخيّل: كاد الجار أن يصبح وارثًا كالأقارب.

في الهندوسية لا يكاد يُذكر الجار إلا في وجوب دعوته إلى الأفراح. وفي العهد القديم نص واحد: «الجار القريب خير من الأخ البعيد»، وهو يتحدث عن نفع الجار أكثر من حقه.

أما الإسلام فجعل الإحسان إلى الجار أمرًا إلهيًا: ﴿والجار ذي القربى والجار الجنب﴾، أي الجار القريب والجار الغريب.

وجعل إكرامه علامة إيمان: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره»، وجعل أذاه نقضًا للإيمان: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن» قيل: من يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يأمن جاره بوائقه». وهذا الحق ثابت للجار مسلمًا كان أو غير مسلم.

فلو طبّق المسلمون هذا الحديث وحده، لتغيّرت أحياءنا كلها.

٧٤. كانت تُحرق مع زوجها الميت!

في الهند، ولقرون طويلة، كانت الأرملة تُحرق مع جثة زوجها في عادة تسمى «الساقي»، حتى منعتها القوانين.

وفي قوانين مانو أن الأرملة تقتات بالزهور والجذور والفواكه ليضمّر جسمها»، ولا تذكر اسم رجل آخر بعد موته. وفي الصين سُئل أحد كبار الكونفوشيين الجدد: هل تتزوج الأرملة إذا اشتد بها الفقر والجوع؟ فقال: «الموت بسبب الجوع أمر صغير، ولكنه شر خطير أن تفقد عفة زوجها الميت بالزواج مرة أخرى».

أما الإسلام فجعل للأرملة عدة محددة: أربعة أشهر وعشرًا، وفاءً للزوج واحترامًا لذكراه، ثم هي حرة في حياتها: ﴿فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف﴾.

بل كانت أكثر زوجات النبي ﷺ أرامل أو مطلقات، ليكون الزواج منهن ورعايتهن سنة تُتبع.

وجعل السعي على الأرملة عبادة عظيمة: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله».

٧٥. يقدمون الطعام لأمواتهم!

في اليابان القديمة كان الناس يخافون الموتى، ويظنون أنهم قد ينزلون بالعالم شراً إذا غضبوا، فيضعون الطعام الفاخر أمام صور أسلافهم ويقدمون لهم الهدايا. وفي الكونفوشيوسية تُعبد أرواح الأجداد وتُقدم لها القرابين. وفي الهندوسية يجب على الرجل أن يتزوج ليقدم القرابين لأسلافه.

أما الإسلام فقد حفظ للآباء والأجداد حقهم وبرّهم في الحياة وبعد الموت، لكن دون أن يتحول البر إلى عبادة.

فبرّهم بعد موتهم يكون بالدعاء لهم، والاستغفار، والصدقة عنهم، وصلة أصدقائهم، كما قال النبي ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».

فانظر إلى الفرق: هناك الأحياء يخافون من الأموات ويسترضونهم، وهنا الأموات ينتظرون دعاء الأحياء.

والعبادة كلها لله وحده، الحي الذي لا يموت.

٧٦. تزوّج أخته... بأمر ديني!

قد يبدو تحريم زواج المحارم أمراً اتفقت عليه البشرية كلها، لكن التاريخ يقول غير ذلك.

ففي الزرادشتية أُجيز الزواج بين الأقارب الأقربين حفاظاً على نقاء دم الأسرة، حتى بين الأب وابنته والأخ وأخته. وفي الشنتوية القديمة كان مسموحاً بالزواج من الأخت لأب.

وفي العهد القديم نصوص في التحريم في سفر اللاويين، أما الأناجيل فلم يُعثر فيها على نص صريح في تحريم نكاح المحارم، واعتمدت الكنائس في ذلك على العهد القديم وقراراتها.

أما الإسلام فجاء بتفصيل محكم في آية واحدة: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبنَاتُكُمْ وَأَخُواتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبنَاتُ الْأَخِ وَبنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخُواتُكُمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ﴾.

فحدّد المحرمات بالنسب والرضاع والمصاهرة، وحرّم الجمع بين الأخنتين.

تشريع واضح ثابت، يحفظ الأسرة والنسب والقطرة، ولا يترك الأمر لعادات تتغير.

٧٧. خذ من كل دين أجمل ما فيه... هل تنجح الفكرة؟

فكرة تبدو جميلة: لماذا لا نجمع أجمل ما في الأديان في دين واحد؟
وقد جُرِّبَتْ فعلاً قبل خمسة قرون!

ففي إقليم البنجاب بالهند، رفع «ناناك» شعار «لا هندوس ولا مسلمون»، وأسس السيخية، فأخذ من الإسلام توحيد الإله، وأخذ من الهندوسية تناسخ الأرواح ووحدة الوجود، وجمع كتابها المقدس من أشعار معلمين وشعراء وقديسين من ديانات مختلفة.

لكن النتيجة جمعت متناقضات: كيف يجتمع التوحيد مع وحدة الوجود التي تجعل الله في كل كائن؟ وكيف يجتمع الحساب مع التناسخ؟

ثم من يحدد ما هو «الأجمل»؟ إنه الإنسان بذوقه وهواه، فيصبح الدين من صنعه هو.

والدين الحق لا يُرْكَب من قطع مختلفة كأحجار اللعب، بل يأتي كاملاً من عند الله: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾.

فالكامل لا يحتاج إلى أن يُرَقَّع بغيره.

٧٨. لماذا تنتظر المطلقة أشهرًا قبل أن تتزوج؟

قد يرى بعضهم في العدة تقييدًا للمرأة... لكن تأمل حكمتها. المفاجأة أن التوراة لم تنص على العدة، وإنما حددها الحاخامات لاحقًا بتسعين يومًا في كل الأحوال. والعهد الجديد لم يتطرق إليها، فاختلقت فيها الكنائس: بعضها جعلها عشرة أشهر، وبعضها لم يعترف بها.

أما الإسلام ففصلها بحسب حال المرأة: المطلقة ثلاثة قروء، والتي لا تحيض ثلاثة أشهر، والحامل حتى تضع، والأرملة أربعة أشهر وعشرًا، والمطلقة قبل الدخول لا عدة عليها.

ولها حكم متعددة: التأكد من براءة الرحم حتى لا تختلط الأنساب. وفرصة للزوج المطلق ليراجع زوجته وهي في بيته. ووفاء لحق الزوج المتوفى واحترام لذكراه. وصيانة لسمعة المرأة وكرامتها. ولها في العدة حقوق: السكن، والنفقة في الطلاق الرجعي وللحامل.

تشريع واحد يجمع العلم والعاطفة والأخلاق، ويحفظ حق المرأة والرجل والطفل معًا.

٧٩. هل ينزل الإله في صورة سمكة؟

في الهندوسية عقيدة اسمها «الأفتار»: أن الإله ينزل ويتجسد في صورة على الأرض لإتمام مهمة، ومن تجسّداته العشرة الأساسية: صورة سمكة، وسلحفاة، وخنزير بري، ورجل أسد، ومحاربين! وفي النصرانية عقيدة أن الابن تجسّد في صورة بشر، فوُلد من مريم العذراء ليخلص البشرية.

لكن السؤال: هل يليق بالخالق العظيم أن يتحول إلى جسد محدود يجوع ويتعب ويتألم ويموت؟

القرآن يجيب بمنطق بسيط عميق: ﴿ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام﴾. ومن يأكل الطعام يحتاج إليه، والإله لا يحتاج.

والله في الإسلام أعظم من أن يحويه جسد: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾، ﴿ليس كمثله شيء﴾.

وطريق معرفته ليس أن يصير مثلنا، بل أن يرسل إلينا رسلاً من البشر، ويُنزل كلامه، فنعرّفه بأسمائه وصفاته وآياته في الكون.

٨٠. هل تبقى المرأة سجينه زواج تعيس؟

تخيّل امرأة تعيش مع زوج لا تطيقه، وتطلب الانفصال... فيُقال لها: مستحيل!

في الكنيسة الكاثوليكية لا طلاق أصلاً، بل «انفصال جسماني» يبقى معه الزواج قائماً. وفي إنجيل متى: «من طلق امرأته إلا لعله الزنا يجعلها تزني، ومن يتزوج مطلقة فإنه يزني». وفي التقليد الهندوسي القديم لم يكن للمرأة حق الطلاق ولا الزواج من جديد. وفي التقليد اليهودي لا يقع الطلاق إلا بوثيقة يمنحها الزوج.

أما الإسلام فقد فتح للمرأة بابين: الخلع، حين تكره زوجها فتفتدي نفسها برد ما أخذت. فقد جاءت امرأة ثابت بن قيس إلى النبي ﷺ وقالت: ما أعيب عليه في خلق ولا دين، ولكني أكره الكفر في الإسلام، ففرّق بينهما.

والتفريق عند القاضي إذا وقع عليها ضرر.

وبعد العدة هي حرة أن تتزوج من تشاء، ونهى القرآن عن منعها: ﴿فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف﴾.